

ولا تتصور أيها القارئ أنَّ المسألة استقرت بعد تلك الحيرة وذلك التذبذب، بل لم تكد نظرية الإمامة تلتقط أنفاسها بعد أزمة الوصية إلى إسماعيل والبداء فيه، وأزمة عبدالله الأبطح ووفاته دون عقب، ثم أزمة إثبات إمامة الكاظم، حتى وقعت أزمة جديدة هي وفاة الإمام الكاظم في سجن هارون الرشيد في بغداد (١٨٣هـ) بصورة غامضة، وقول عامة الشيعة (الموسوية) آنذاك بهروب الإمام من السجن وغيبته!

وقد كانت وفاة الإمام الكاظم غامضة بالفعل بحيث التبس الأمر على معظم أبنائه وتلامذته وأصحابه، ومنهم بعض أصحاب الإجماع والرواة الثقات كعلي بن أبي حمزة وعلي بن الخطاب وغالب بن عثمان ومحمد بن إسحاق بن عمار التغلبي الصيرفي وإسحاق بن جرير وموسى بن بكر وهيب بن حفص الجريري ويحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين ويحيى بن القاسم الحذاء (أبو بصير) وعبدالرحمن بن الحجاج ورفاعة بن موسى ويونس بن يعقوب وجميل بن دراج وحماد بن عيسى وأحمد بن محمد بن أبي نصر وآل مهران وغيرهم من أصحابه الثقات^(١).

وكان السبب الرئيس في (وقف) الشيعة الموسوية على الإمام الكاظم ورفض الاعتراف بإمامة ابنه علي الرضا عليه السلام هو وجود روايات كثيرة بمهدوية الكاظم وحتمية قيامه قبل موته،

(١) الغيبة للطوسي ص ٤٧، والكافي (٣٤/١)، وعيون أخبار الرضا ص ٣٩.

وقد أشار الطوسي في كتابه «الغيبة» إلى بعض منها وناقشها^(١).

وتوالت الشكوك والتساؤلات عن كيفية معرفة علي الرضا عليه السلام بوفاة أبيه... ومتى عرف... ومتى علم أنه أصبح إماماً خليفة لأبيه... وهل كانت هناك فاصلة بين وفاة الكاظم ومعرفة ابنه الرضا وبالتالي توليه للإمامة من بعده؟^(٢).

وقد زاد (الشيعة آنذاك) شكاً في الإمام الرضا الحديث الذي كان شائعاً عندهم: (إنَّ الإمام لا يغسله إلا إمام) فقالوا: كيف إذن غسَّل علي الرضا أباه الذي توفي في بغداد وكان هو في المدينة؟!^(٣).

فالنص على الإمام علي بن موسى الرضا لم يكن غامضاً على عامة الشيعة فحسب، بل على أولاد الإمام الكاظم وزوجته الأثيرة (أم أحمد) كما يذكر التاريخ^(٤).

وتقول إحدى الروايات: إنَّ الشيعة في المدينة لما سمعوا بخبر وفاة الإمام الكاظم اجتمعوا على باب (أم أحمد) وباعوا أحمد ابن الإمام الكاظم بالإمامة فأخذ البيعة منهم^(٥).

(١) الغيبة ص ٢٩ - ٤٠.

(٢) الكافي (٣٨١/١).

(٣) الكافي (٣٨٥/١).

(٤) الكافي (٣٨١/١ - ٣٨٢).

(٥) حياة الإمام موسى بن جعفر لباقر شريف القرشي ص ٤١٠ - ٤١١ نقلاً عن تحفة العالم للسيد جعفر آل بحر العلوم (٨٧/٢).

وبينما كان (الإمامية) يحاولون إثبات إمامة الرضا بالنصوص والمعاجز، توفي الإمام الرضا في خراسان سنة (٢٠٣هـ) وكان ابنه (محمد الجواد) يبلغ من العمر سبع سنين، مما سبب في حدوث أزمة جديدة في صفوف الإمامية، وشكّل تحدياً كبيراً للنظرية الوليدة؛ حيث لم يكن يُعقل أن ينصب الله تعالى لقيادة المسلمين طفلاً صغيراً محجوراً عليه لا يحقُّ له التصرف بأمواله الخاصة، غير مكلف شرعاً، ولم تتح له الفرصة للتعلّم من أبيه الذي تركه في المدينة وله من العمر أربع سنوات^(١).

وهو ما أدى إلى انقسام الشيعة الإمامية إلى عدة فرق:

أ - فرقة عادت إلى الوقف على الكاظم، وتراجعت عن إيمانها بإمامة الرضا، ورفضت الاعتراف بإمامة الجواد.

ب - وفرقة ذهبت إلى أخي الإمام الرضا (أحمد بن موسى) الذي كان يرى رأي الزيدية، وخرج مع أبي السرايا في الكوفة، والذي كان موضع تقدير وحب أخيه الرضا، وكان على درجة من العلم والتقوى والورع كما يصفه المفيد في «الإرشاد»^(٢). . . وزعم هؤلاء أنّ الرضا أوصى إليه ونص بالإمامة عليه^(٣).

(١) المقالات والفرق للأشعري القمي ص ٩٦ - ٩٨، وفرق الشيعة للنوبختي ص ٨٨.

(٢) فرق الشيعة ص ٨٨، والمقالات ص ٩٧.

(٣) الفصول المختارة ص ٢٥٦.

ج - وذهب قسم آخر من الشيعة للالتفاف حول الإمام محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي كان يعيش في الكوفة، وكان معروفاً بالعبادة والزهد والورع والعلم والفقه، وفجّر ثورة ضد الخليفة المعتصم في الطالقان سنة (٢١٨هـ)^(١).

د - وفرقة قالت بإمامة الجواد لكن واجهت مشكلة أخرى؛ إذ تكررت مشكلة صغر عمر الإمام الجواد مرة أخرى مع ابنه علي الهادي، حيث توفي الجواد في مقتبل عمره ولما يكمل الخامسة والعشرين، وكان ولداه الوحيدان علي وموسى صغيرين لم يتجاوز أكبرهما السابعة، ولأنّ الهادي كان صغيراً عند وفاة الجواد، فقد أوصى أبوه بالأموال والضياع والنفقات والرفيق إلى (عبدالله بن المسوار) وأمره بتحويلها إلى الهادي عند البلوغ!! وشهد على ذلك أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر^(٢).

وهذا ما دفع الشيعة آنذاك إلى التساؤل: إذا كان الهادي بنظر أبيه غير قادر على إدارة الأموال والضياع والنفقات لصغره، فمن هو الإمام في تلك الفترة؟! وكيف يقوم بالإمامة طفل صغير؟! وهو سؤال طرحه البعض عند وفاة الإمام الرضا من قبل، وذلك عندما كان الجواد طفلاً

(١) مقاتل الطالبين ص ٥٧٩، وتاريخ الطبري (٢٢٣/٧).

(٢) الكافي (٣٢٥/١).

صغيراً، وقد زاد الغموض والحيرة بالأخوين: علي وموسى.. أيهما الإمام؟!^(١)

يقصُّ علينا الكليني والمفيد ذلك الغموض وتلك الحيرة التي أصابت الشيعة في أمر الإمام بعد الجواد، وعدم معرفة كبار الشيعة بهوية الإمام الجديد، واجتماعهم عند محمد بن الفرّج للتفاوض في أمرها، ثم مجيء شخص وإخباره لهم بوصية الإمام الجواد له سرّاً بإمامة ابنه علي الهادي^(٢).

وقد أدّت هذه الحيرة وذلك الغموض في أمر الإمامة إلى انقسام الشيعة (الإمامية) أتباع الجواد إلى قسمين:

- قسم يقول بإمامة الهادي.

- وآخر يقول بإمامة أخيه موسى المبرقع^(٣).

لكن الإمام الهادي فاجأ الجميع بترشيح ابنه محمد كخلف له، ثم توفي هذا الابن في حياة الإمام الهادي، فأوصى إلى ابنه الآخر (الحسن العسكري) وقال له: (يا بني أحدث لله شكراً، فقد أحدث فيك أمراً!!)^(٣).

وقد روى الكليني والمفيد والطوسي عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري قال: كنت عند أبي الحسن العسكري وقت

(١) الكافي (٣٢٤/١)، والإرشاد ص ٣٢٨.

(٢) فرق الشيعة ص ٩١.

(٣) الكافي (٣٢٦/١ - ٣٢٧)، وبصائر الدرجات للصفار ص ٤٧٣، والإرشاد للمفيد ص ٣٣٧، والغيبة للطوسي ص ١٢٢.

وفاة ابنه أبي جعفر، وقد كان أشار إليه ودلّ عليه، وإنني لأفكر في نفسي وأقول: هذه قصة أبي إبراهيم وقصة إسماعيل، فأقبل إليّ أبو الحسن وقال: نعم يا أبا هاشم! بدا لله في أبي جعفر، وصير مكانه أبا محمد، كما بدا له في إسماعيل بعدما دلّ عليه أبو عبدالله ونصبه، وهو كما حدّثك نفسك وأنكره المبطلون... أبو محمد ابني الخلف من بعدي عنده ما تحتاجون إليه، ومعه آلة الإمامة والحمد لله^(١).

ومثلما حدث مع (الإسماعيلية) الذين أنكروا وفاة إسماعيل بن جعفر لنص جعفر الصادق عليه السلام، رفض قسم من شيعة الإمام الهادي الاعتراف بوفاة ابنه محمد، وأصرّوا على القول باستمرار حياته وغيبته، وادّعوا بأنّ إعلان الهادي لوفاة ابنه كان نوعاً من التقية والتغطية على الحقيقة!!

لكن وفاة الحسن العسكري عليه السلام في سامراء سنة (٢٦٠هـ) دون خلف له، فجّر أزمة عنيفة في صفوف الشيعة الإمامية التي كانت تعتقد بضرورة استمرار الإمامة الإلهية من بعده، ففرقوا إلى أربع عشرة فرقة كما يقول القمي في «المقالات والفرق»، والنوبختي في «فرق الشيعة»، وابن أبي زينب النعماني في «الغيبة»، والصدوق في «إكمال الدين»، والمفيد في «الإرشاد»، والطوسي في «الغيبة»، وغيرهم من علماء الشيعة.



(١) الكافي (٣٢٨/١)، والغيبة ص ٥٥، ١٣٠، والإرشاد ص ٣٣٧، وبحار الأنوار للمجلسي (٢٤١/٥٠).

المهدي المنتظر

إنَّ الإيمان بخروج المهدي في آخر الزمان ويكونه من آل بيت النبي ﷺ ومن بني فاطمة الزهراء على وجه الخصوص أمر يقيني لا يُشكُّ فيه وليس هو محل النقاش بين أهل السنة والشيعة.

تعلّمتُ كأبيّ شيعيّ أن أتعلّق بشخصية (صاحب الزمان)، تعلّمت منذ الصغر أنّ إمامي له ألقاب كثيرة، فهو (حجة الله) وهو (القائم) وهو (صاحب الزمان) و(أبو صالح) وهو (صاحب الأمر) و(صاحب العصر)... لكنني لم أتوقع أنّ هذه الشخصية التي تعلّقت بها منذ الصغر وعلقت بها آمالي وأفراحي قد تكون شخصية وهمية.

حبي للإمام لم يجعلني أفكّر بالأمر، لكن البحث الحر قادني لهذه الحقيقة.



لقب لصاحب الزمان هزني!

من المسائل العظيمة التي صدمتني لقب لصاحب الزمان ذكره العلامة النوري الطبرسي في كتابه «النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب (عج)».

والعلامة النوري الطبرسي غنيّ عن التعريف، يكفيك أن تعلم أن (الشيخ عباس القمي) والشيخ (آغا بزرك طهراني) و(الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء) و(السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي) مؤلف «المراجعات» من تلامذته.

فقد ذكر أنّ من ألقاب صاحب الزمان (خسرو مجوس)^(١) وهو اللقب السابع والأربعون للإمام!

إنها لمفاجأة كبرى!

كيف يُمكن أن يوصف إمامنا بأنه (خسرو المجوس)؟! ما دخل المجوس بصاحب الزمان؟!

(١) النجم الثاقب (١/١٨٥).

صاحب الزمان سيأتي لينتقم من أعداء آل البيت وعلى رأسهم أبو بكر وعمر.. هكذا تعلّمنا، وعمر بن الخطاب هو الخليفة الذي في عهده فُتحت إيران ودخلها الإسلام وأُذن فيها وأقيمت الصلاة.. لأول مرة في التاريخ.. بدأت أربط بين هذه وتلك..

لكن إن أردت أن تنصدم معي أكثر، فاقرأ هذه الرواية من «بحار الأنوار» للعلامة المجلسي.

روى المجلسي عن النوشجان بن البودمردان قال: لما جلا الفرس عن القادسية، وبلغ يزدجرد بن شهريار ما كان من رستم وإدالة العرب عليه، وظنّ أن رستم قد هلك والفرس جميعاً، وجاء مبادر وأخبره بيوم القادسية وانجلائها عن خمسين ألف قتيل، خرج يزدجرد هارباً في أهل بيته ووقف بباب الإيوان، وقال: السلام عليك أيها الإيوان! هاأنذا منصرف عنك، وراجع إليك أنا أو رجل من ولدي لم يدن زمانه ولا آن أوانه.

قال سليمان الديلمي: فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فسألته عن ذلك وقلت له: ما قوله: «أو رجل من ولدي»؟ فقال: ذلك صاحبكم القائم بأمر الله ﷺ السادس من ولدي؛ قد ولده يزدجرد فهو ولده^(١)..

إنه يوم الانتقام!

(١) بحار الأنوار (١٦٣/٥١ - ١٦٤).

صاحب الزمان ابن يزدجرد سينتقم لآبائه الفرس من أهل الإسلام الذين فتحوا فارس، هكذا تقول الرواية، وهكذا تفهم من لقبه (خسرو مجوس)!

الله أكبر...! أين كنت عن هذه الحقائق؟!

لكن لديّ ما هو أدهى وأكثر تأثيراً..

في كتاب «الغيبة» لمحمد بن إبراهيم النعماني (ص ٢٣٤) عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين العرب وقريش إلا السيف، ما يأخذ منها إلا السيف».

لماذا كل هذا الحقد على العرب وعلى قریش بالذات؟!

بل تنصّ الروايات على أنّ القائم «يهرج»^(١) سبعين قبيلة من قبائل العرب»^(٢).

حاول أن تربط بين هذا وبين ما ذكرته سابقاً من أنّ من ألقاب صاحب الزمان (خسرو مجوس) وأنّ يزدجرد جده توعدّ المسلمين الذين أراحوه وزمرته عن العرش بقدوم صاحب الزمان!!

حقائق بمثابة الصاعقة على رأس كلّ عاقل...!



(١) بهرج الدماء: أهدرها، وفي الطبعة الأخرى للبحار: يهرج، ومعنى الهرج: الفتنة والاختلاط والقتل.

(٢) انظر: بحار الأنوار (٣٣٣/٥٢)، هامش (١).

قصة صدقناها لأننا لا نريد أن نفكر

علّموني منذ نعومة أظفاري قصة صدقتها لبساطتي دون أن أفكر فيها وأزنها بميزان العقل السليم.

خلاصة القصة أنّ الإمام العسكري طلب (بشر بن سليمان النخّاس) وقال له: سأطلعك على سرٍّ لا أطلع عليه أحداً غيرك، فكتب له كتاباً باللغة الرومية وطبع عليه خاتمه، ثم أعطاه مئتين وعشرين ديناراً، وقال له: خذ هذا المبلغ وتوجّه إلى بغداد وستجد سوق نخاسة^(١) فيه رجل اسمه (عمر بن يزيد النخّاس) وسترى من بين الجوّاري عنده جارية صفتها كذا وكذا - وذكر له صفاتها - تمتنع عن الرجال، فإن رأيتها فأرها كتابي هذا.

فذهب بشر إلى بغداد ووجد ما قال له الإمام، فلما أعطى الجارية الكتاب بكت بكاءً شديداً، وقالت لعمر بن يزيد: يعني

(١) سوق بيع العبيد والإماء.

من صاحب هذا الكتاب، ثم سألتها بشر بعد أن اشتراها عن سبب بكائها فأخبرته أنها (مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأنّ أمها تنتسب إلى وصي المسيح شمعون بن حمّون بن الصفا)!!

ثم ذكرت له قصة غريبة عجيبة عن جدّها قيصر الذي أراد تزويجها من ابن أخيه، وكيف أنها رأت محمداً عليه الصلاة والسلام في المنام قد أتى المسيح ﷺ خاطباً من وصيه شمعون فتاته، وكيف أنها رأت في المنام بعد ذلك فاطمة الزهراء ومريم بنت عمران ﷺ وألفاً من وصيفات الجنة، وكيف أنها رأت الإمام الحسن العسكري في المنام وأنه أخبرها أنّ جدّها سيسير جيشاً لقتال المسلمين في يوم كذا، وأنّ عليها أن تلحق بالجيش متكرة في زي خدم، وكيف أنها وقعت في الأسر بعد ذلك.

هذه قصة أم صاحب الزمان.. قصة تصلح لفيلم سينمائي، لا لعقيدة مسلم جاء القرآن ليحرّر عقله من الخرافات ومن مثيلات هذه القصص..

أما حمل (نرجس) بصاحب الزمان، فيكفيك أن تقرأ رواية ذكرها عباس القمي في «منتهى الآمال» وغيره من علماء مذهبي السابق.

تقول الرواية: إنّنا معاشر الأوصياء لسنا نحمل في البطون، وإنما نحمل في الجنوب، ولا نخرج من الأرحام، وإنما نخرج من الفخذ الأيمن من أمهاتنا، لأنّنا نور الله الذي لا تناله الدناسات!!

الأنبياء يولدون من الأرحام والأوصياء منزّهون عن ذلك،
أيّ إسلام هذا الذي يرتضي مثل هذا الكلام؟!^(١)

أما ولادة صاحب الزمان فتقول الروايات عنها: لما وُلد السيد ﷺ ظهر منه نور ساطع فبلغ أفق السماء، ورأيت طيوراً بيضاً تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثم تطير، فصاح أبو محمد الحسن ﷺ، فقال: يا عمّة، تناوليّه فهاتيه، فلما تناولته ضممتّه إليّ، فإذا به مفروغ له (مختون مقطوع حبل السرة)، نظيف منظّف، وعلى ذراعه الأيمن مكتوب: (جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً)^(١).

أما الشريعة التي سيحكم بها صاحب الزمان فشرعية أخرى غير شريعة الإسلام.

يشير ابن بابويه القمي في كتابه «الاعتقادات» أنّ المهدي إذا رجع من غيبته ينسخ شريعة الإسلام فيما يتعلق بأحكام الميراث، فيذكر عن الصادق أنه يقول: «إنّ الله آخى بين الأرواح في الأظلة قبل أن يخلق الأبدان بالفي عام، فلو قد قام قائمنا أهل البيت ورث الأخ الذي آخى بينهما في الأظلة ولم يورث الأخ من الولادة»^(٢).

(١) منتهى الآمال لعباس القمي (٢/٥٦١).

(٢) الاعتقادات ص ٨٣.

وأنه يقتل من بلغ العشرين ولم يتفقه في الدين^(١).

وسيحكم صاحب الزمان بحكم (آل داود) لا بحكم (محمد وآل محمد)، تقول الروايات الشيعية: «إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان ولا يسأل بينة»^(٢)، وفي لفظ آخر: «إذا قام قائم آل محمد حكم بين الناس بحكم داود ﷺ ولا يحتاج إلى بينة»^(٣).

وفحوى هذه الفكرة هو إلغاء المهدي الحكم بالقرآن وإحلال كتاب آخر محله، وهذا ما تشير إليه رواية النعماني عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر ﷺ: «يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد»^(٤). . . «لكنني أنظر إليه بين الركن والمقام يبائع الناس على كتاب جديد»^(٥).

بل لا تسلم منه مقدسات المسلمين!

حيث تنصّ الروايات على «أنّ القائم يهدم المسجد الحرام حتى يردّه إلى أساسه، ومسجد الرسول ﷺ إلى أساسه، ويرد البيت إلى موضعه ويقيمه على أساسه»^(٦).

(١) إعلام الوري للطبرسي ص ٤٣١، بحار الأنوار (١٥٢/٥٢).

(٢) أصول الكافي (١/٣٩٧).

(٣) الإرشاد للمفيد ص ٤١٣، وإعلام الوري للطبرسي ص ٤٣٣.

(٤) الغيبة للنعماني ص ١٥٤، بحار الأنوار (٣٥٤/٥٢).

(٥) الغيبة للنعماني ص ١٧٦، بحار الأنوار (١٣٥/٥٢).

(٦) الغيبة للطوسي ص ٢٨٢، بحار الأنوار (٣٣٨/٥٢).

لماذا غاب صاحب الزمان؟

المؤمنون بوجود شخصية (صاحب الزمان) يجيبون على هذا التساؤل بقولهم: إنّ هناك علة مانعة من ظهوره، فمتى زالت هذه العلة كان ظهوره.

ثم يبيّنون العلة المانعة من ظهور المهدي بقولهم: إنه لا علة تمنع من ظهوره إلا خوفه على نفسه من القتل، لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار، وكان يتحمل المشاق والأذى، فإنّ منازل الأنبياء والأئمة إنما تُعظّم لتحملهم المشاق العظيمة في ذات الله تعالى.

وسيرة آبائه معلومة لدى الجميع، فقد كانوا مخالطين للناس ولم يخشوا أحداً منهم.

وقد أورد المؤمنون بصاحب الزمان روايات يذكرون فيها أنّ رسول الله ﷺ كان مخفياً في مكة في بداية دعوته لخوفه على نفسه من القتل، ثم يقيسون اختفاء صاحب الزمان على اختفاء رسول الله ﷺ، ومن تلك الروايات ما رواه المجلسي في «البحار» (١٧٦/١٨) عن أبي عبد الله ﷺ قال: (اكتتم

رسول الله ﷺ بمكة مستخفياً خائفاً خمس سنين، ليس يظهر، وعلي ﷺ معه وخديجة، ثم أمره الله تعالى أن يصدع بما يؤمر، فظهر وأظهر أمره).

وروى أيضاً في «البحار» (١٧٧/١٨) عن أبي عبد الله ﷺ يقول: (مكث رسول الله ﷺ بمكة بعدما جاءه الوحي عن الله تعالى ثلاث عشرة سنة، منها ثلاث سنين مستخفياً خائفاً لا يظهر، حتى أمره الله تعالى أن يصدع بما يؤمر، فأظهر حينئذ الدعوة).

وهناك روايات متشابهة تنصب في نفس المعنى تركتها اختصاراً.

ولكن هذا قياس مع الفارق الشديد، لوجوه:

الأول: أنّ الرسول ﷺ لم يختف عن أنظار العالم، بل جعل الدعوة سراً.

الثاني: أنه ﷺ كان برفقة أشخاص، زوجته خديجة وعلي وغيرهما، فأما المهدي الذي ترعّمونه فليس كذلك.

الثالث: أنّ الرسول ﷺ استتر حتى ظهر، وفي هذه الفترة كان يعدّ للدعوة وبالفعل أعدّ أتباعاً ليساعده في الدعوة. وأما المهدي فمختفٍ وليس له أتباع، وإن كانت الشيعة الإمامية هم أتباعه - ومن المعلوم أنهم أتباعه منذ أن اختفى - فالآن هم بالملايين، أفلا يكفي ذلك العدد ليخرج المهدي ويكون بأمان ويجاهد معهم؟!!

وأذكر هنا أنني شاهدت برنامجاً ذات يوم يناقش مسألة وجود وحقيقة المهدي وقصة اختفائه.

وكان الحوار بين طرفين: مؤمن بوجوده، والآخر غير مؤمن، والاثنتان كانا من الشيعة.

وقد كان من تعليقات الطرف غير المؤمن حول هذه المسألة أنه قال: لو سلمنا جدلاً بالقول بصحة كل ما جاء من الأخبار والمرويات عن قصة المهدي وعن سبب اختفائه، فالمعلوم من هذه الأخبار أنَّ سبب اختفائه هو خوفه من أن يُقتل على أيدي العباسيين آنذاك، ولكن لماذا لا يظهر المهدي الآن على شاشات التلفزة ونحن في عصر الفضائيات والإنترنت، أو على الأقل يظهر في شريط فيديو صوت وصورة - كما هو الحال مع الكثير من الشخصيات السياسية المعارضة الهاربة التي تحارب الحكام - ويسلمه إلى يد الأشخاص الذين يدعون بين الحين والآخر بأنهم التقوا به، حيث يثبت للعالم - ولو للذين لا يؤمنون بوجوده على الأقل - بأنه شخصية غير وهمية وأنه ليس بخرافة ولا أكذوبة، مؤكداً ما جاء في الأخبار والروايات.



لماذا يهاجمون المرجع محمد حسين فضل الله؟^(١)

الناظر في الواقع الشيعي اليوم يدرك أنَّ هناك يقظة وصحوة من سبات عميق طال.. لكنه لن يطول أكثر.

فالأسماء التي برزت على الساحة كمنتقدة للغلو الموجود في المذهب وبدأت تمحّص وتدقّق في الروايات التي يمرُّ عليها قراء العزاء وخطباء المنابر الحسينية والمتعصبون من أبناء ومشايخ المذهب دون تمحيص ودراسة بدأت تزداد يوماً بعد يوم.

بالأمس نهض (آية الله العظمى أبو الفضل البرقي) و(أحمد الكسروي) و(العلامة الخوئيني) و(الدكتور موسى الموسوي) و(محمد الياسري) و(أحمد الكاتب) واليوم (آية الله العظمى محمد حسين فضل الله).

(١) مرجع شيعي لبناني، له مقلدون في جميع أنحاء العالم.

لقد أدرك السيد فضل الله أنَّ بعض الأطروحات العقائدية والتاريخية - التي كان يدافع عنها صغيراً، ويفسرها ويدعو إليها وهو مرجع وعالم مرموق في الأوساط الشيعية - لم تكن ترقى للحقيقة.

فعلى المستوى التاريخي توصّل السيد فضل الله ببحثه وتقويمه لما يُذكر عن حادثة الاعتداء على الزهراء أنَّ كل ما يُذكر عن ضرب الزهراء وإسقاط جنينها لا يمتُّ للحقيقة بصلة.

وقد نال بسبب هذا التصريح الأذى من خصومه حتى أُخرجت الفتاوى المضلّة له وربما المكفّرة!

يقول السيد فضل الله منتقداً ما يذكر في قصة الاعتداء على الزهراء: (.. أنت إذا كان واحد جاء وهجم على زوجتك ويريد أن يضربها، هل تقعد في بيتك وبالعرفة وتقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، أو تهجم على الذي جاء يضرب زوجتك؟! علي بن أبي طالب سلام الله عليه، هذا الرجل الذي دوّخ الأبطال يترك الجماعة يهجمون على الزهراء بهذا الشكل وهو قاعد في البيت يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؟! أي واحد يقبل على نفسه منكم؟! ولا أحد..)^(١).

ويقول: (لماذا الزهراء تفتح الباب.. أنت إذا كنت موجوداً في البيت وزوجتك موجودة ودق الباب أحد، خصوصاً إذا جاء

رجال أمن ليعتقلوك، هل تقول لامرأتك: أنت اخرجي؟.. يعني الإمام علي جبان، ما عنده غيره؟! يقولون: النبي ﷺ أوصاه، أوصاه بأن لا يفتح المعركة في الخلافة! وليس أن لا يدافع عن زوجته^(١).

وعلى المستوى العقائدي كان من ضمن التصريحات الجريئة التي أطلقها بعد تأمل وتدبر في نصوص الكتاب والسنة أن الإمامة ليست شرطاً في صحة الإسلام أو قبول أعمال العباد، وإنما هي نظرية ترجحت عند بعض المسلمين ولم تترجح عند غيرهم من المسلمين، وأنَّ الإمامة من المتحول^(٢) الذي يخضع للتوثيق والتضعيف.

ومن الأمور التي نحا السيد فضل الله فيها منحىً تصحيحياً انتقاده لنسبة علم الغيب للأئمة.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا أَتَيْنَاكَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ذكر فضل الله أنَّ الآية تدلُّ بشكل واضح على أنَّ الرسول ﷺ لم يكن يمتلك علم الغيب، وأنَّ الله لم يرد من الرسول أن يكون إنساناً يقف بين الناس ليتحدث عن أسرارهم الكامنة في

(١) المصدر السابق.

(٢) المتحول والمتغير عكس الثابت، ويراد بهما: ما كان من الظنيات وموارد الاجتهاد.